ستديو ثقافة شعبية

رمز برج الجدي

حياكة سجادة في كردستان العراق

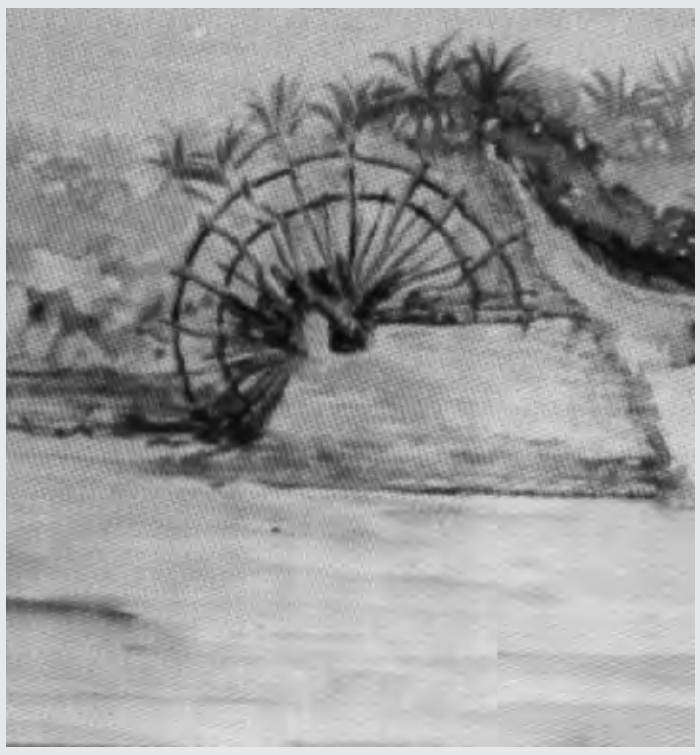

ناعور على الفرات - بريشة نوار حمدي شريف

أغنية شمس الشموسة ..بصرية لا مصرية

عبد الجبار عباس

طلعت يا محلا نورها
شمس الشموسة
يلله بنا نملا ونحلب
لبن الجاموسة

أغنية، أو بستة، أو طقطوقة، سمها ما شئت. قيل أن الذي لحنها الملحن المصري الشهير سيد درويش. لكن مؤرخي الموسيقى والغناء يؤكدون أنها من تلحين الملا عثمان الموصلي. واصل كلمات الأغنية التي غناها يوسف عمر وفيروز وغيرهما تقول بعد المطلع:

طلعت على شط دجلة
والغربي نسم
والموج ينادي أهله
وعليها سلم
جمالها يزيل العلة
وللعاشك بلسم
طلعت علينا يا ربي
شمس الشموسة

غير ان الباحث البصري المرحوم حامد البازي يقول أن أصل الأغنية بصري، غنتها المطربة "طيرة" في مجلس الشيخ خزعل أمير المحمرة. وكانت "طيرة الحلبية" تسمى أيضاً "أم حلك الذهب" لحلاوة صوتها، وقد بقيت في البصرة ثلاث سنوات، وتعلمت اللهجة البصرية لتغني أغاني البصاروة.

كان ذلك في مطلع القرن العشرين. ويؤكد المرحوم البازي أن سيد درويش ولد بالاسكندرية عام ١٨٩٢ وتوفي فيها سنة ١٩٢٣، وكان عمره عندما غنت "طيرة" عشر سنوات. وكان سيد درويش قد سافر إلى سوريا مع جوق موسيقي وبقي فيها ثلاث سنوات، ويظهر أنه سمع هناك أغنية "شمس الشموسة" البصرية كلمات ولحناً، فحورها وأبدل كلمة "الجاموسة" بـ"كاموسة" أما كلمات الأغنية البصرية:

جيت أسال البحر يابه
والبحر خابط
مركب خزاعل يا عيني
بالنار رابط
ليرة ومجيدي يا عمي
بخشيش للزابط

ويؤكد البازي أن سيد درويش يلحن وهو في الثامنة عشرة من عمره، أي عام ١٩١٠ وهذا يعني أن أغنية "شمس الشموسة" البصرية سبقت ألحانه بعشر سنوات، وعلى هذا يتحقق بأن سيد درويش أغار على أغنية طيرة الحلبية، ونسبها لنفسه.

يؤيد رأي البازي ما جاء في مجلة "الدستور" ملحق العدد ٥٣ الصادر في تشرين الأول ١٩٧١ (عدد خاص بالعراق) جاء على ص ٤٩ عنوان "مصر هربت الألحان العراقية عن طريق حلب، وسيد درويش نقل شمس الشموسة وسجلها باسمه.. ونقل سيد درويش اللحن عن طريق مطربة (مصرية) اسمها طيرة، عاشت في بغداد ستة اشهر، ونقلت معها أكثر من لحن عراقي غنته على مسارح حلب التي كانت يومئذ ملتقى أهل الطرب العربي، ويبدو أن سيد درويش قد أعجب باللحن ونقله بعد تغيير في كلماته من اللهجة العراقية إلى اللهجة المصرية".

من المحرر

اجمعوا ذاكرة المدينة

في مشاهد الأفلام العراقية القديمة مثل (القاهرة - بغداد) لحقي الشبلي وعفيفة اسكندر و(قطار الساعة ٧) للمخرج حكمت لبيب و (الاسوار) لمحمد شكري جميل الكثير من اللقطات السينمائية لبغداد والبصرة وبعقوبة وشوارعها وبنية الحياة الاجتماعية فيها (طراز الملابس والاسواق والمخازن وطريقة تصفيف الشعر ...الخ).

وفي كتب المذكرات التي صدرت لشخصيات سياسية واجتماعية مثل الدكتور صالح البصام والدكتورة سانحة أمين زكي وناجي شوكت وامين المميز وعبود الهيمص وغيرهم صور لشخصيات قامت بدور كبير داخل المجتمع السياسي والاجتماعي العراقي، وفي مجلات الأمس (قرندل - الوادي- هنا بغداد- الرحاب) وغيرها وفي الصحف العراقية القديمة الكثير من الصور التي تعد اليوم وثائق اجتماعية مصورة كما ان في ارشيفات المصورين القدامى امثال ارشاك، بابل، المصور الاهلي، حازم باك، اصلان، محيي عارف والحاج امري سليم الكثير من الصور المهمة للعراق عموماً وبغداد خصوصاً، وهي صور لا تستحق الحفظ والاهتمام بل الدراسة والتحليل والتعليق لما تمتلكه من روحية توثيقية لحدث أو لمناسبة.

ان جمع كل هذه الوثائق الصورية والسينمائية من قبل جهة متخصصة في وزارة الثقافة هو الخطوة الأولى لاعادة تنشيط الذاكرة الاجتماعية- السياسية لبغداد

باسم عبد الحميد حمودي

والعراق ذلك ان هذه الوثائق الصامتة والناطقة المتوفرة والتي يمكن توسيع الاهتمام بجمعها لتشمل مدنا اخرى حفلت كاميرات مصوريها بتسجيل الكثير تعد ذات أهمية كبرى في مجال التوثيق وحفظ جانب من الذاكرة العراقية التي اثقلتها الحروب والنزاعات وهي بحاجة الى الوقوف عند صور الماضي القريب لا في المجال التوق الى سعادة مفقودة بل الى دراسة هذه الصور المثقلة بالتفاصيل العمرانية والفلكلورية التاريخية والافادة منها في معرفة جدل الماضي مع الحاضر وفهم دقائقها التعبيرية للحصول على صور ذهنية تنعش ذاكرة اليوم.

أســـــوار الـــنـجـف

خليل ابراهيم المشايخي

كانت اغلب المدن في كثير من انحاء العالم محاطة بأسوار لحمايتها من المعتدين والغزاة.. وقد تكون من الكبر بحيث تشمل بلادا كاملة كما هو الحال بسور الصين العظيم الذي مازال يطرق الاسماع ليومنا هذا فيثير العجب..

للعرب رأي في الاسوار إذ كانوا يقرنون قوة السور ومناعته وتحصينه بقوة اهله وعزتهم وغلبتهم مثلما كانوا يقرنون (حوض ماء القبيلة) في الصحراء، فكلما كان الحوض مرصوفاً بالحجارة (النصائب) ومعتنى به وكبيراً دل على منعة القبيلة وعلو شأنها وقوتها وعزتها، ويمكن ان نستشف ذلك من قول الشاعر العربي القديم وهو يتعجب مما آل اليه امر قومه من ضعف:

مالي أرى حوضكم تعفو نصائبه
وذودكم ليلة الاورادِ ظمأن

والنجف مثل سائر اغلب مدن العراق محاطة بسور يمنع دخول الغرباء اليها حينما يرخي الليل سدوله على المدينة، فيحمي اهلها من اللصوص والمجرمين القتلة، ومن غارات الاعداء والغزاة .. اما المقبرة فكانت تمتد الى مساحة كبيرة فوق الهضبة الرملية خارج السور.

وتبعاً لطبوغرافية المدينة وشكلها يتخذ السور شكله وتصميمه والنجف كما يذكر ابن منظور في لسان العرب ارض مستديرة مشرفة على ما حولها.. فكان السور يؤلف محيطه كله شكلاً مربعاً تقريباً ويضم داخله كتلة كبيرة من البيوت المتماسكة، وكان الماء يؤتى به عبر قناة تمر تحت الأرض آتية من نهر الفرات لان ماء الابار كان غير سائغ شرابه ...

لقد قصد النجف الاشرف كثير من العلويين ومن المتنسكين الشيعة بعدما غدا ملاذاً للضعيف وحصناً للمستجير، وكعبة القصاد ومنهل الرواد..

وللموقع الجغرافي المتفرد للنجف عن باقي المدن العراقية الاخرى ولأهميتها الدينية، ولتعاظم بعض الحركات الإجرامية التي اتخذت من الدين ستارا لتتمكن من دق أسفين الطائفية في جسد الاسلام واتخاذه ذريعة لذبح الأبرياء والتنكيل بهم، ولقربها من السعودية، كان لابد ان تتحصن بسور منيع، فمن يقرأ كتب التاريخ يجد فظاعة ما ارتكبه الأعراب القادمون من وراء الحدود بالتعاون مع من احكموا السيطرة على عقولهم من العراقيين.

ويؤيد ذلك ما ذكره الرحالة المستر (بارلو) الذي زار النجف عام (١٨٨٩) واستاذ علم الآثار الامريكي جون بيترز الذي زار النجف عام (١٨٩٠) والرحالة البرتغالي الذي زار النجف عام (١٨٨٥) .ز فمن يقرأ عن رحلاتهم وما دونوه عبر مشاهدتهم يلمس فظاعة ووحشية هؤلاء الاعراب فاغلبهم ذكر ان من ينام قريباً من السور في الليل يرى رؤوس الابرياء ترمى من قبل الاعراب من فوق السور، هؤلاء الأبرياء ذنبهم انهم جاؤوا لزيارة الامام (علي بن ابي طالب) (ع) وهم اناس مسالمون، لان ابواب السور كانت تغلق عند صلاة المغرب..

لذلك حصن أهالي النجف مدينتهم ولحماية الضريح الشريف ولحماية الزوار القادمين من اماكن شتى من العراق وخارجه من محبي آل بيت رسول الله "ص".

قامت للنجف ستة أسوار هي:

السور الأول: كان هذا السور حول المرقد بناه محمد بن زيد الداعي.. إذ قام هذا المحب لآل بيت رسول الله "ص" باعادة بناء الضريح بناء فنياً معمارياً بأحسن ما كان متبعاً من فن معماري للاماكن المقدسة، واقام لأول مرة فوق الضريح قبة منورة استدعى لبنائها خيرة المعماريين، فصارت تحفة تسر الناظر وبعد ان انتهى من بناء الضريح ضرب حوله سوراً لرد هجمات المعتدين ولتوفير الأمن لقاصدي قبر امير المؤمنين لزيارته والساكنين قرب الضريح.

السور الثاني: أخذ عدد الساكنين يزداد بازدياد عدد الوافدين الى زيارة قبر امير المؤمنين "ع" فضاق السور الأول بهم واصبح لا يلبي الحاجة ولا يؤمن الحماية والامن لعدد كبير من القادمين للزيارة، فقام الامير الحمداني ابو الهيجا التغلبي عبد الله بن حمدان (ت ٣١٧هـ- ٩٢٩م) وهو من القواد العباسين، ببناء سور منيع وجعله حصنا منيعا، وقد جاء ذكر هذا السور في كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل (ت ٩٧٧م) وهو رحالة عربي وجغرافي جاب العالم الاسلامي من المشرق الى المغرب.

السور الثالث: اطلق على هذا السور بسور (عضد الدولة) السلطان البويهي (ت٩٨٣).. وقد ذكر صاحب (المنجد في اللغة والاعلام) ص٧١ ان عضد الدولة أول من اظهر قبر الامام علي بن ابي طالب (ع) في النجف وبنى عليه وقد جانب الصواب في ذلك، وما دوناه عن السور الأول يفند زعمه ..

وبعد ان صار القائمون على رعاية الزوار يزداد عددهم بازدياد الزوار وكذلك القائمين على رعاية الضريح. ادى ذلك الى ان تضيق المدينة بمن فيها، مما حدا بعضد الدولة بعدما زارها الى تحصينها، فبنى سوراً منيعاً، فصارت البلدة اوسع مما كانت عليه واخذت تحيط بالمرقد الشريف..

السور الرابع: يروي لنا المؤرخ العربي (ابن الاثير) في كتابه الشهير (الكامل في التاريخ) قصة بناء هذا السور، إذ يذكر ان وزير سلطان الدولة ابن بويه ابو محمد الحسن بن سهلان (ت ٤٦١هـ) مرض مرضاً شديداً حتى انه شارف على الموت وعجز الأطباء عن شفائه واتفقوا على انه لا يرجى شفاؤه الا بقدرة الخالق (جل جلاله) فتوجه بقلبه ووجدانه قاصداً امير المؤمنين، فنذر نذراً لوجه الله تعالى إذا عوفي من هذا المرض وخلصه الله من هذه الشدة وإعطاه الصحة والعافية ليبنين سوراً عظيماً لمدينة امير المؤمنين.. وتحقق له ما اراد وبل من مرضه فامر ببناء سور ضخم يبعد عن الصحن الشريف بـ(١٩٩ مترا) وشرع ببنائه ابو الحسن الارجاني بأمر من الحسن بن سهلان عام (٤٠٠ هـ) واستمر ببنائه الى اواخر القرن السادس الهجري.

السور الخامس: قام ببناء هذا السور السلطان (اويس) بضم الهمزة وفتح الواو لا كما ذكر بعض المؤلفين المحدثين (ويس) وهو من سلالة مغولية، تسمى بالسلالة (الجلائرية) ولذلك يلقب بـ(اويس الجلائري) ويعتبر من اشهر سلاطين هذه السلالة التي حكمت العراق من سنة (١٣٣٩ الى سنة ١٤١١م) ثم ابنه حسن، واحمد الذي قام ببناء باب ضخم للسور بعدما اتمه والده.

وقد ذكر هذا السور الرحالة (تكسيرا) الذي دخل النجف عام (١٠١٣ هـ) ومما ذكره: (ان مدينة النجف محاطة بسور ولكن هذا السور لم يكن منيعاً لان فيه أكثر من الف فتحة لانه بني من الاجر والطين مثلما كانت تبنى الجوامع والدور السكنية).

السور السادس: شرع ببناء هذا السور سنة (١٢١٧هـ) وانتهى من بنائه سنة (١٢٢٦هـ) وقد عنى ببنائه وتخطيطه ليكون سوراً منيعاً ضد هجمات الاعراب المجرمين القتلة، وقد حفر خلف السور خندق عميق، واقيمت في اعلاه الابراج المكتنفة بالمعاقل والمراصد، وجعل المعماريون الذين صمموه واشرفوا على بنائه منافذ متقاربة مختلفة الأحجام تناسب حجم فوهات المدافع والبنادق التي يستخدمونها في حالات الدفاع عن المدينة.

وكان هذا السور يبعد عن السور الخامس بـ(١٧٠) خطوة ومحيطه ما يقارب من (٤٥٠٠) خطوة.

ما كتبه الرحالة الاجانب وعلماء الاثار عن سور النجف: اغلب الرحالة الاجانب الذين زاروا النجف كتبوا مشاهداتهم عن سور النجف ووصفوه بشكل جيد، وقد سبق ان ذكرنا ما كتبه الرحالة البرتغالي (تكسيرا) عن سور النجف وكان قد كتب رحلته بالبرتغالية وترجمت الى الانكليزية سنة (١٩٠٢م).

ومما ذكره ايضاً (ان الكثير من الاماكن فيه آيلة الى السقوط وفيه أكثر من الف فتحة يستطيع اللصوص والمجرمون النفاذ منها الى البلدة وقتل ابنائها والاعتداء عليهم ونهبهم..).

اما الرحالة (بيترز) وهو استاذ امريكي رئيس بعثة (بنسلفانيا) فقد زار النجف عام (١٨٩٠م) بعد ان وصلها من السماوة سالكاً الفرات عن طريق (شط العطشان) بعد ان استأجر (طرادة) ومما قاله:(كانت النجف محاطة بسور تسد ابوابه عند الغروب.. وهذا السور متداع مشرف على السقوط.. ثم يصف ارتفاع السور بقوله : (وكان ارتفاع السور يبلغ خمساً وعشرين قدماً وسمكه خمس الى ست اقدام..).

وله رأي طريف له صلة وثيقة باختصاصه فهو عالم آثار لذلك يحاول ربط مشاهداته بقراءته فهو يرى ان (العرب في المنطقة الجنوبية يعيشون عيشة تشبه عيشة البابليين قبل اربعة الاف سنة في كثير من الاشياء لاسيما الطقوس الدينية، وطقوس دفن الموتى في الاماكن المقدسة.. وكذلك الاكشاك قرب ابواب الصحن التي تبيع الكثير من الحاجات واللوازم مثلما كان يحصل في ابواب معبد (بيل) في نفر من قبل..

ومما ذكره ايضاً عن السور قوله: (ويكون محيط الاسوار كله شكلاً مربعاً تقريباً ، يضم في داخله كتلة كبيرة من البيوت المتماسكة).

اما الرحالة (ينبهر) الذي زار النجف عام (١٧٦٥م) فيذكر ان النجف كانت مسورة بسور ضخم له بابان، باب المشهد، وباب النهر، وله باب ثالث يسمى باب الشام لكنه مغلق ببناء.

والسور مهدم بحيث يمكن الدخول الى المدينة من خمسين موضعاً. ويذكر الشيخ جعفر محبوبة في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) ان هذا السائح قد شاهد السور الخامس وكذلك السائح الذي جاء بعده (تكسيرا) وهو سور السلطان (ويس الجلايري) (كذا).

نشأة المساكن والمحلات

يذكر الدكتور محسن عبد الصاحب في كتابه (مدينة النجف الكبرى) نشأت المساكن أول الامر شمال المرقد في عام ٧٨٧ م ما يعرف اليوم بـ(طرف المشراق) واخذت تمتد غرب المرقد وجنوبه فظهرت محلات سكنية كـ(محلة الرباط والجية) لتي كان موقعها قرب جامع الهندي الحالي ومحلة (الزنجبيل) التي تشمل اليوم (عكد الحمير) ولم يرد تاريخ محدد لنشأة هذه المحلات كما يذكر محمد بن حوقل في كتابه (صورة الأرض) ص٢١٥ وبعد مجيء الطوسي في (١٠٥٧م) اخذت البلدة بالتوسع فنشأت محلات سكنية اخرى كمحلة (العلا) التي تشمل اليوم المنطقة الممتدة من مرقد الامام (ع) حتى (سوق الريحة) ومحلة اخرى بالقرب منها.

وحدثنا الاستاذ علي جهاد حساني مدير مركز احياء التراث الاسلامي قائلاً: (يذكر ابن الاثير في كتابه الكامل ان النجف اتخذت شكلاً دائرياً طول محيطه (١٢٥٠ متر) وكان السور الرابع يبعد عن المرقد الشريف في اغلب الجهات (١٩٩متر) وموقعه عند أول (سوق الصفارين الحالي)، والسور الخامس يبعد عن الرابع بـ(٧٥) متراً وكما يذكر جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف ص٥٧٣ ان محيط النجف يبلغ (١٧٢١ مترا) وظهرت محلات سكنية جديدة كمحلة (آل جلال التي يحتل سوق المسابج الحالي جزءاً من موضعها ومحلة البركة، وتوسعت محلة العمارة وحول مرقد صاحب الجواهر.. ومن يلقي نظرة خاصة على الخريطة التي وضعها الرحالة (كارتسن نيبور) في سنة ١٧٦٥ في كتابه (مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة سنة (١٧٦٥)م الى النجف /ترجمة: سعاد العامري/ بغداد ١٩٥٥، ص ٧٦- ٧٧).

ويشاركنا في الحديث الاستاذ الباحث والمحقق حسين الحساني قائلاً: ان المكان الذي تراه اليوم قد انتشرت عليه منشآت السوق الكبير وكذلك شارع الصادق وشارع زين العابدين وشارع الجبل وباب الولاية وفضوة المشراق كلها كانت موضع المقبرة العامة واستشهد: (ما أظن اديم الأرض إلا من هذه الاجساد).

والتقينا الاستاذ يونس العنبكي فقال بهذا الصدد: (عانت النجف من جراء السور ما بعد سنة (١٧٦٥م) من تزاحم سكانها وضيق طرقها حتى سنة (١٨١١م) كما يذكر ذلك جعفر محبوبة.. حتى بنى نظام الدولة سورا بأربعة ابواب وابراج ومعاقل ومراصد وحفر خندقاً..) يمكن مراجعة ماضي النجف وحاضرها ص ٣٢٥- ٣٢٨,

المردودات الايجابية والسلبية للسور:

ثم توجهنا بالسؤال الى الاستاذ الاختصاصي التربوي (محمد عدوة) وهو من ابناء النجف الاصلاء فقلنا له: قد ذكرت بعض الايجابيات للاسوار فما هي برايك المردودات السلبية لها ان وجدت؟ فقال: بالرغم من أهمية الاسوار في صد هجمات الوهابيين سنة (١٩٠٣) وهجمات الاعراب المتكررة وتوفير الأمن للساكنين إلا ان هناك مردودات سلبية يمكن ان نستشفها منها:

ان بقاء السور سوف يعيق عملية توسع المدينة بل وسيؤخر توسعها وهذا ما سيدفع السكان الى استغلال أي قطعة ارض لبناء مساكنهم دون تخطيط لذلك تجدها متزاحمة فهي اقرب الى كومة انقاض منها الى مساكن فلا عجب ان تجد الطرق بين البيوت ضيقة جداً بل حتى في داخل المدينة وبعض هذه الطرق يعلوها سقف ممتد والسقف بحد ذاته ارضية لغرفة تقاسمتهما المساكن المتقابلة أو المتجاورة ، وكذلك تكون المدينة عرضة لانتشار الاوبئة والامراض..

وارى ان السور يتطلب ادامة وترميماً مستمرين وقد يكلف ذلك اموالاً طائلة كان يمكن ان تصرف في الخدمات العامة لسكان المدينة.

السور في احاديث الناس

مازال اهل النجف الاصلاء منهم لاسيما كبار السن حينما يتحدثون عن معلم من معالم النجف يذكرون السور، فيقولون خلف السور من جهة القبلة أو قريب من السور قرب بنات الحسن (ع) أو من جهة البحر.. من ذلك مثلا حديث الاستاذ عبد الله شيخان عن الزور خانه يقول: تقع في ركن السور الاخير مازالت آثارها باقية ليومنا هذا وتقع الان في شارع السدير..

ظاهرة الاسوار مظهر من مظاهر مدينة النجف الاشرف وكانت معلماً من معالمها .. وفق الله الجميع لاستقراء معالم مدننا من ينابيعها الاصيلة..